الاكسترا فلسطينية في امكانية توسعها في المستقبل على حسابها . وهكذا فما زال حاملو هذا المفهوم يرسلون الاقوال عن نوايا اسرائيل « من النيل الى الفرات » ويدرجون الدلائل على ذلك من الكتابات الصهيونية الاولى . وفي رأيي ان هذا المفهوم كان خاطئا وسلبيا . ولا يعني ذلك ان اسرائيل لا تتوسع ولن تتوسع ، بل يعني انه لا يمكننا الاخذ بجدية الكتابات الصهيونية الاولى في القرن الثامن عشر مثل اقوال هرتزل عن حدود دولته ، ان لشيء ، فلأن هرتزل لم يكن يعرف شيئا عن فلسطين الا ما رآه في خريطة كانت بحوزة احد معارفه القس هشلر ، مما يعني ان قوله عن حدود الدولة لا يمكن اخذه بعين الجدية التي غالبا ما اخذ بها في الكتابات العربية . ولكن بغض النظر عن ذلك ، فان النظرة التي تنحصر في القول بالتوسعية ، نجم عنها انطباع لدى السامع العربي العادي بحيث لم يعد يرى اي تهديد لموقعه ومصالحه الا من وجهة النظر التوسعية ، مما يفسر سلبية التعبئة الثورية للمقاومة العربية المسلحة الا في اوساط من ينال منهم التوسع مباشرة .

لو حاولنا حصر او تحديد المعضلات الاساسية التي واجهت الثورة الفلسطينية وادت الى فشلها النسبي في المرحلة الراهنة ، لاستطعنا توضيح عنصرين هامين هما : اولا ، الفشل في تحقيق التعبئة العربية خارج الساحة الفلسطينية وتحقيق التفافها جماهيريا حول الثورة . ثانيا ، الفشل في السعي، او حتى التفكير بالسعي الجدي ، لتعبئة عناصر من الطبقة العاملة الاسرائيلية لصالح الثورة . وهاتان المعضلتان يمكن اعادتهما الى الالتباس في المفهوم العام والسائد حول الصهيونية في الاوساط العربية .

من هنا اهمية النظرة الواضحة والمتكاملة للصهيونية من حيث ظروف نشأتها في الغرب وعواقبها ونتائجها في المنطقة العربية . فتحديد واقع تبعية الصهيونية واسرائيل للامبريالية ، تاريخيا من حيث دورها كأداة في ضرب الثورية في الغرب وحاليا في معاداتها لاي تحركات تقدمية تحررية في المنطقة العربية ، يشكل ضرورة تلازم تحديد الممارسة العملية في التصدي للحركة الصهيونية ودولة اسرائيل وليدتها . واذا نشأت الصهيونية عن ظروف الصراعات المجتمعية الغربية كقسم من جهود الرأسمالية العالمية (الامبريالية) لضرب الثورة وصرف البروليتاريين اليهود عنها باجلائهم الى فلسطين ، وهذه هي النظرة التي طرحتها في ملاحظتي الاولى ، فيشكل هذا المفهوم لدينا اذن ، اساسا للتوجه الى الطبقة العاملة الاسرائيلية في سبيل التصدي الى احدى نقطتي الضعف الاساسيتين التي تواجههما الحركة الوطنية الفلسطينية في سعيها لتحقيق الحل الديموقراطي الاشتراكي الثوري للمشكلة الصهيونية . كما أن توضيح واقع تبعية الصهيونية واسرائيل الى الامبريالية وعملها في خدمتها ، ومن ثم التهديد اليومي المستمر والمباشر الذي تمثله اسرائيل لمصالح الفرد العربي اينما وجد (من شمالي سورية الى العراق الى ما هنالك) ولتحركات مجموعات جماهيره نحو التحرر ، ليس فقط من حيث توسعيتها ، بل بمجرد وجودها كقاعدة استعمارية اداة في يد الامبريالية ، فان ذلك من شأنه ان يشكل أساسا للتوجه الواضح نحو الجماهير العربية لتعبئتها وتخطي نقطة الضعف الثانية التي واجهتها الحركة الوطنية الفلسطينية.

العظم : هناك ارتباط واضح بين ما قاله الدكتور الياس شوفاني حول فكرة تغيير الوعي في اسرائيل وما قاله الزميل الياس سعد حول التفسير الصحيح والواضح للصهيونية باعتباره اداة من ادوات تغيير الوعي، لكن اعتقد ان التفسير وحده لا يكفي ، يعني التفسير وحده لم يكن قادرا في يوم من الايام على تغيير الكثير الا في الاوساط الفكرية او الثقافية الضيقة . في النهاية ان تغيير الوعي ، ان كان بالنسبة للرأي العام العالمي او بالنسبة لاسرائيل ، رهن بنمو الثورة العربية وقدراتها الكفاحية وبالتضحيات التي تقدمها والانجازات التي تحققها . اذا نمت الحركة الثورية العربية حقا وكبرت ستضطر اسرائيل للتدخل لضربها باعتبارها احد الخطوط الدفاعية للامبريالية ضد الثورة الاشتراكية في المنطقة . التفسير وحده لن يؤدي الى النتائج المطلوبة مما لم تفرض حركة الثورة في المنطقة نفسها عن طريق الكفاح لن يتأثر وعي اية قطاعات جماهيرية هامة ان كان على الصعيد العالمي او الصعيد الاسرائيلي. وواضح ان لا العالم ولا اسرائيل ولا الدول الكبرى نظروا الينا نظرة اكثر جدية مما فعلوا في الفترة التي صعدت فيها حركة المقاومة . لقد تمكنت المقاومة في فترة قصيرة من أن تؤثر على الرأي العام العالمي وحتى على الرأي العام الاسرائيلي